فن التدبر في القرآن الكريم

عصام بن صالح العويد

عضو هيئة التدريس

بجامعة الإمام محمد بن سعود

الناشر

مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية.

الطبعة الثالثة

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

المملكة العربية السعودية.

الرياض - الدائري الشمالي - مخرج ٥

تلفاكس ٤٥٦٣٤٢٣ - ص.ب.١١٦٥٢/ ٨٧٦١٢

البريد الحاسوبي tadabbor@gmail.com

الإخراج الفني

أبو عمر

محمود بن شوقي بن مفلح

٠٥٤٤٣٤٣٧٧١

الرياض

للتواصل عبر البريد الإلكتروني

mahmoodshawqi@yahoo.com

ⓒ عصام صالح محمد العويد، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العويد، عصام صالح محمد

فن التدبر في القرآن الكريم / عصام صالح محمد العويد - ط٣ . - الرياض ، ١٤٣١ هـ

٨٠ ص، ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٠ - ٤١٣٥ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - القرآن - مباحث عامة ٢ - القرآن- أحكام أ. العنوان

ديوي ٢٩٩ ٥٦٠ / ١٤٣١

رقم الإيداع: ٥٦٠ / ١٤٣١

ردمك: ٠ - ٤١٣٥ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

رقم الإيداع : ٥٦٠ / ١٤٣١

ردمك : ٠ - ٤١٣٥ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

إلى والدي..

كل نبض حرفٍ في هذا الكتاب إنما هو نبض رعايتكم وتربيتكم، فإنما هو -بعد خالقي- منكما بدأ، وإليكما يعود.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾

إلى قرة عيني..

لقد التقطت أنفاسي عطر الحياة مرتين:

أما الأولى: فأنفاس والدتي الرؤوم، فللَّه ما أعطرها -حفظها الله ورعاها-.

وأما الثانية: فأنتِ يا أحب الناس.

عصام

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وبعد:

فإن تذليل العلم وتقريبه إلى الناس من أهم المهمات، خصوصًا ما يتصل بتقريب معاني كلام الله تعالى ورسوله ﷺ لعموم المسلمين.

ولئن كان تقريب العلم -الذي كُتِبَ فيه كثيرًا- مهمًّا لأهل العصر، فإن العلم الذي لم يكتب فيه إلا نادرًا أهم وأشد حاجة، ومن هنا جاءت هذه الرسالة -الصغيرة في حجمها، المهمة في مضمونها-: «فن التدبر في القرآن الكريم» لفضيلة الشيخ عصام بن صالح بن محمد العويِّد -عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والعضو المؤسس للهيئة العالمية لتدبر القرآن-، والتي كتبها

لعموم المسلمين[1] الذين أيقنوا بأن التدبر من أعظم مقاصد نزول القرآن الكريم، وأنه الطريق الأقصر لصلاح القلب، وزكاة النفس، والتلذذ بكلام الله جل جلاله.

وإننا في مركز تدبر، لنسعد بنشر هذه الرسالة بهذه الحلة القشيبة[2]، فالنشر -في مركز تدبر- هو أحد أهم الوسائل التي يرتكز عليها في بث هذا المعنى الشرعي العظيم: «تدبر القرآن» بين المسلمين وغير المسلمين.

وإننا لنجد أن من الواجب علينا أن نشكر أخانا فضيلة الشيخ عصام على مبادرته الكريمة بكتابة هذه الرسالة، والإذن لنا بنشرها، جعل الله ذلك في ميزان حسناته، وذخرًا له في حياته وبعد مماته.

وكتبه/

د. عمر بن عبدالله المقبل

المستشار العلمي لمركز تدبر

عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة

جامعة القصيم

---

(١) وللشيخ -أثابه الله- رسالة أخرى، كتبها لطلاب العلم المهتمين بهذا الموضوع، واسمها: «**المراحل الثمان لطالب فهم القرآن**»، وهي إحدى مطبوعات مركز تدبر لعام ١٤٣٠هـ.

(٢) سبق أن طبعت هذه الرسالة أول مرة في دار مدار الوطن بالرياض.

مقدمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴾، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾.

والصّلاة والسّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه،،، أما بعد :

◆ **يا أيها الإنسان : اسمع نداء رب الناس للناس :**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (١٧٤) النساء.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٧) يونس.

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ ﴾ (١٠٨) يونس.

في هذه الآيات الثلاث فقط تجيء هذه الأوصاف العِظام بأنه : هو البرهان، هو النور ، هو الموعظة ، هو الشفاء ، هو الهدى ، هو الرحمة، هو الحق .

فأين قلوب المؤمنين والمؤمنات عن كتاب ربهم ؟

لذا فهذه رسالة « فن التدبر » ، وهي الرسالة الأولى ضمن مشروع (تقريب فهم القرآن) ، كتبتها لعموم المسلمين ، لكل قارئ للقرآن يلتمس منه الحياة والهداية ، والعلم والنور ، والانشراح والسعادةَ ، والمفاز في الدنيا والآخرة ، وهي تمثل (المستوى الأول) لمن أراد أن يكون من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته ، وقد توخيتُ فيها الوضوح ما استطعت إلى ذلك سبيلًا .

فأسأل الله أن يتقبلها بقبولٍ حسنٍ ، وأن يجعَلها ذُخْراً أفرحُ بها حين ألقاه.

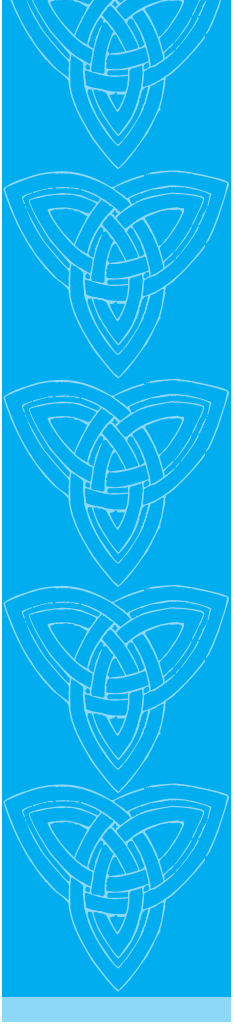

تمهيد

◆ **تأملت في أحوال أمة القرآن ؛ فوجدتُ أنهم في موقفهم من كتاب الله على أقسام ثلاثة :**

أ- قسم أعرض عن كتاب الله وهؤلاء خُصماء رسول الله ﷺ يوم القيامة ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠) الفرقان، وليس الحديث معهم في هذه الرسالة .

ب- قسم يتلو كتاب الله تعالى ؛ لكنه لم يستشعر عظمته ، ولم يُدرك حقيقته ، ولم يقف على سلطانه ، ولم يَدْرِ أين إعجازه ، ومن أجله كانت هذه الرسالة .

جـ- قسم يُراجع كتب التفسير ، وله همة في فهم كتاب الله ، لكنه يشعر بأنه ما زال بعيداً عن التدبر الحق لهذا الكتاب العظيم ، وهذا كتبت له رسالة «المَرَاحِـلُ الثَّمَان لطَالِب فَهْم القُرْآن».

وقد كنتُ وأنا أُقلبُ الفكر في هذا الأمر ؛ أعجب -كما عجب أسلافنا- من مقولٍ بليغ لعربي جاهلي صنديدٍ عنيـــد وهو يصف القرآن المجيـد ، يقول : «والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه» .

فلمـــا قرأتُ قولَ بليغٍ أعجمي ! فرنسي !! فيلسوفٍ !!! ملحد!!!! وهو جوزيف آرنست رنانٍ زال -والله - عجبي منهم ، وبقي عجبي منَّا، واسمع لما يقول:

«تضم مكتبتي آلاف الكتب السياسية والاجتماعية والأدبية وغيرها والتي لم أقرأها أكثر من مرة واحدة ، وما أكثر الكتب التي للزينة فقط ، ولكن هناك كتاب واحد تؤنسني قراءته دائما هو كتاب المسلمين القرآن ، فكلما أحسست بالإجهاد وأردت أن تنفتح لي أبواب المعاني والكمالات ، طالعت القرآن حيث إنني لا أحس بالتعب أو الملل بمطالعته بكثرة ، لو أراد أحد أن يعتقد بكتاب نزل من السماء فإن ذلك الكتاب هو القرآن لا غير ، إذ أن الكتب الأخرى ليست لها خصائص القرآن» .

أليست هي بنفسها مقولة الوليد بن المغيرة ؟

فما الذي جعل الوليد وجوزيف ! يتفقان على أن القرآن (يعلو ولا يُعلى عليه) ؟

إنه قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ (٤) الزخرف.

وما أجمل قول الشاطبي -رحمه الله -واصفا كتاب الله تعالى في ألفيته المشهورة :

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَـقُ شَافِعٍ
وَأَغْـنَى غَـنَـاءٍ وَاهِـبًا مُـتَـفَضِّلا
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ
وَتَـــرْدَادُهُ يَـــزْدَادُ فِيـهِ تَجَمُّـــلا
وَحَيْثُ الْفَتى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ
مِـنَ القَبرِ يَلْـقَـاهُ سَنًّـا مُـتَـهَـلِّلاً

- أخرج ابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان قال ابن مسعود : من أراد العلم فليثوِّر القرآن فإن فيه علمَ الأولين والآخرين .

قال شمر: تَثويرُ القرآن قراءته ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه.

- **والعجب أننا نؤمن جميعاً بأن هذا القرآن هو النور .. هو الروح .. هو الهدى .. هو الشفاء ... هو الفرقان ... جمع أنواع السلطان كلها .**

ثم بعد هذا كرر النظر ، وأرجع البصر في حال أمة القرآن مع القرآن.

فماذا عساك أن ترى ؟

الأمر لا يحتاج إلى كثير بيان .

● وهذه نصوص أسئلة تتابعت أذكرها كما هي ، يقول أصحابها :

١- أنا أقرأ القرآن، وأقرأ في كتب التفسير، ولا أدرك هذا المعنى

العظيم الذي تتحدثون عنه في آيات القرآن ؟

٢- عندي يقين تام بأن القرآن معجز لكن لا أدري أين هذا الإعجاز؟

٣- لا أجد لذة عند قرآة القرآن .

٤- هل يمكن أن يحكمنا القرآن في كل قضايانا حتى الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والسياسية والإعلامية، وغير ذلك ؟

٥- أخت داعية تسأل تقول : ندعو الناس إلى الأنفع لهم أو إلى ما يرغبون فيه ؟ هل نعلم الناس الإيمان أو العاطفة ؟

٦- أخرى تقول : أليست دراستنا لعلم التوحيد أو الفقه أو الحديث هي المقصودة بتدبر القرآن ؟

٧- الأمة اختلفت في فهم القرآن كثيراً، أما تخشى علينا من هذا ؟

٨- لماذا القرآن ؟ مشكلات الأمة أهم.. السياسة أهم.. الفقه أهم.. الدعوة أهم .. الجهاد أهم ... الاقتصاد أهم .

◆ **والجواب عن هذه كلِّها هو جوابٌ واحد :**

وهو عدم الفهم الحق لهذا القرآن المنزل من لدن حكيم عليم ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ (٦) سورة النمل .

فلابد من هذا الفهم -بقدر طاقتك -وإلا والرحمن الذي أنزل القرآن لن تبلغ مُرادك في الصلاح والإصلاح في الدنيا، ولا في الرفعة والدرجات في الآخرة .

◆ وأدلة ذلك مبسوطة ستأتي فيما نستقبل -بإذن الله -، ولكن أُنبِّه

هنا أن الفهم الحق الذي لابد منه نوعان :

١- فهم ذهني معرفي ..

٢- فهم قلبي إيماني ..

والفهم الثاني هو الغاية ، والأول إنما هو وسيلة .

قال الحسن البصري -رحمه الله -: العلم علمان :

١) علم في القلب فذاك العلم النافع .

٢) وعلم على اللسان فتلك حجة الله على خلقه .

◆ فتنبه إلى ذلك -يا أخا القرآن -فإنه سُورُ ما بين الفريقين .

فإن قلت : فكيف تحقيق ذلك ؟

فالجواب : باتباع منهج الذين قال فيهم الله ﷻ:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾

(٢٩) الفتح.

وقال فيهم ﷺ كما في «الصحيحين» عن عِمرانَ بن حُصَين، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

فلا محيد ولا مناص من اتباع منهجهم في تعلُّمنا وتعليمنا للقرآن .

فإن قلتَ: وهل خالفناهم في طريق تَعَلُّمِنا أوتَعْلِيمنا القرآن ؟

فأقول: نعم -غفر الله لي ولك -قد فعلنا شيئاً من ذلك .

فقد كان السلف -رحمهم الله- من عظيم فقهم يتعلمون الإيمان قبل أن

يتعلموا القرآن، يتعلمون صغار العلم قبل كباره، يمتثلون قبل أن يستكثروا.

- فإن سألت : وكيف نسلك طريقهم ؟

فالجواب -يا أخا القرآن-: إنما رقمتُ هذه المراحل من أجل بيان ذلك، فخذها لك غُنمها وعلى كاتبها غُرمها ولا حول لي ولا قوة إلا بالله.

◆ وقد قسمتها إلى ثلاث مستويات :

- المستوى الأول : فن التدبر .

- المستوى الثاني : رسالة «أصول في التفسير» للعلامة ابن عثيمين رحمه الله.

- المستوى الثالث : المَرَاحِـلُ الثَّمَان لطَالِب فَهْم القُرْآن .

◆ ومراحل المستوى الأول على النحو التالي :

- المرحلة الأولى : لابد من اليقين التَّام أنك مع القرآن حي وبدونه ميِّت، مبصرٌ وبدونه أعمى ، مهتدي وبدونه ضال .

- المرحلة الثانية : الأصل في خطاب القرآن أنه موجه إلى القلب .

- المرحلة الثالثة : كيف نقرأ القرآن ؟

- المرحلة الرابعة : بأي القرآن نبدأ ؟

- المرحلة الخامسة : كيف نستفيد من كُتب التفسير ؟

وهذا أوان الشروع في المقصود ، مستعيناً بمن أنزل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ .